الإدغـــام

بين ابن جني وأصحاب القراءات القرآنية

د. محمود الزهيري

استاذ مساعد في قسم اللغة العربية – كلية الآداب

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

ملخص البحث

يستخدم الإدغام في اللغة بصورة موسعة، وله عدة أبواب، وترى العرب فيه بعداً عن توالي المتماثلات، وطريقاً للسهولة. ويعذب اللفظ عندهم إذا كان من حروف متباعدة فيما بينها في المخرج. وهذه عناية باللفظ على مستوى الحرف ومجاوره.

ويدخل الإدغام في بنية الكلمة ويحدده مخرج الحرف ومجاوره وما يعتريه من قلب أو إبدال، وشرطوا للإدغام مسوغات أو موانع، لما لجرس الحرف من أهمية في الإدغام وعدمه. وكان ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب متتبعاً للإدغام في الكلمة من عدة جوانب. ومعول عليه كثيرا وأفرد له صفحات من كتابه، وكان القراء كذلك يفردون له أبواباً في القراءات القرآنية. وكانت هناك نظرات متفاوتة ما بين ابن جني وأصحاب اللغة والقراء في نظرتهم إلى الإدغام. ودخل الإدغام في كثير من الأنواع من قلب إلى إبدال إلى شفوي وكامل وناقص. وكذلك الإدغام في آل التعريف مع ثلاثة عشر حرفاً من اللغة. وكان له أثر على الحركات والميزان الصرفي.

فكانت نظرة ابن جني قياسية ونظرة القراء تَلَقِي ومشافهة ونقلا لذلك انفرد ابن جني واللغويون إلى النظرة القياسية المحضة بينما كان عمل القراء نقلاً و تَلَقِي. وبناء على ذلك رد ابن جني واللغويون بعض القراءات القرآنية.

ولما كانت اللغة فيها ما هو قياسي وما هو سماعي، فإن النظرة تمايزت ما بين اللغويين والقراء. فركز البحث على النظرة إلى هؤلاء وهؤلاء وخرج بأن اصل اللغة أن تأخذ تلقياً وحجة للقراء وليس عليهم. وسلط البحث اهتمامه على عناية العرب بلغتهم عناية تجاوزت اللفظ إلى الحرف ومجاوره.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:

يستخدم الإدغام في اللغة بصورة واسعة وأبوابه كثيرة، والعرب يـرون فيه بعداً عن توالي المتماثلات، وطريقا لتلافي الثقل ووصولا إلى السهولة.

ويعذب اللفظ عند العرب إذا كان من حروف متباعدة نسبياً، واختفى فيه المكرر والمتماثل، ويعد هذا من حرصهم على اللفظ، وعنايتهم الفائقـة برونـق الكلمة وبساطة التعبير.

ويُرى كذلك حرص العرب على الحرف من حيث مخرجـه، فـصنفوا المخارج وعدوا لها أسماء، ومواقع على اللسان، والحلق، والشفة، ولـم يكتفـوا بذلك، بل إنهم راحوا يبحثون في صفات كل حرف على حدة، وما يناسـبه مـن قرب، أو بعد، أو تجانس. ثم تعدوا ذلك إلى جواز دخول الحرف في غيـره، أو إبداله، أو قلبه، أو إدغامه.

ونلحظ دقة تعبيرهم عندما اشترطوا شـروطاً للإدغـام، أو القلـب، أو الإبدال لكنهم في الوقت نفسه، نظروا إلى هذه الأمور من ناحية استقلالية الحرف بذاته، وامتناعه عن الدخول في غيره، من خلال الصفة، أو المخرج، أو الجرس.

ويلحظ في كل ذلك الإدغام في تجليه لغوياً حين تـدخل ميـدان اللغـة وتصريفاتها، وإبدالاتها وقلبها، وما يوافق الإدغام وما يمتنع. ومن يتابع القراءات القرآنية واختلاف لهجات القراء يلحظ ما عليه هذا العلم القيم من دخول لأبـواب الإدغام وولوج في بحر اللغة ولهجات العرب القديمة.

ويبدو أن ابن جني في كتابه – سر صناعة الإعراب – كان يعول على الإدغام كثيراً، ويفرد له الصفحات والفقرات في حديثه عن اللغة وتداخلاتها.

فنظرت إلى الإدغام في كتابه المذكور فوجدته مجالاً زاخـراً لدراسـة منهجه في دراسة الإدغام وموازنته مع غيره ممن تحدث عن الإدغام من القرّاء فوقفت على:

- تعريف الإدغام ما بين اللغويين والقراء.
- أنواع الإدغام وأقسامه الكثيرة ما بين المجودين واللغويين.
- الإبدال والقلب مع الإدغام.
- صفات الحروف وما يتبعها من إدغام أو دخول في بعضها.
- "أل" التعريف وإدغامها في حروف العربية – ثلاثة عشر – الثلاثة عشر حرفاً.
- النون والميم وما لها من أحكام لغوية وموازنتها بالأحكام التجويدية.
- الميزان الصرفي وما يتبعه من إدغام أو قلب.
- موانع الإدغام بين اللغويين والقراء.
- مذهب المصنف في الحروف والحركات.
- هجاء الحروف وصورها.
- تأليف الكلمات والحروف المكررة.

ووازنت بين رأي ابن جنـــي للإدغـــام ورأي القـــرّاء ورأي ســـيبويه وأصحاب اللغة والصرف وما بين نظرة أهل اللغة للإدغام.

ولعلها تكون مقدمة لدراسة الإدغام عند ابن جني في لهجـــات العـــرب بصورة موسعة.

والله من وراء القصد

تعريف الإدغام

الدغم: محركة من لون الخيل: أن يضرب وجهه وجحافله إلى السواد ويكون ذلك أشد سواداً من سائر جسده.

دَغَمَهم الحرُ والبردُ، كمَنَعَ وسَمِعَ: غشيهم.

أدغمه الله: سودَ وجهه، والفرس اللجام: أدخله في فيه، والحرف في الحرف: أدخله[1].

أما صاحب السان العرب فيقول:

دغم: دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها إذا غشيها وقهرها.

والدغْم: كسر الأنف إلى باطنه هشماً.

والإدغام: إدخال حرف في حرف، يقال أدغمت الحرف وأدّغَمْتهُ على افتعلته إدخال اللجام في أفواه الدواب.

قال ساعدة بن جؤية:

بمقربات بأيديهم أعنتها خوص إذا فزعوا أُدْغِمن باللجم

قال الأزهري: وإدغام الحرف في الحروف مأخوذ من هذا، قال بعضهم ومنه اشتقاق الإدغام في الحروف، وقيل: بل اشتقاق هذا من إدغام الحروف وكلاهما ليس بعتيق إنما هو كلام نحوي... ودغم الإناء دغماً غطاه[2].

يظهر من التعريف أن الإدغام فيه معنى القوة والقهر والتغطية والإدخال، وعادةً الإدخال في حاجة لقوة ومسوغ. وكذلك في كسر الأنف إلى باطنه هشما ففيه معنى القوة والتغير وربما أفاد التعدي، وتغيير الحال أو اللون إلى غير ما هو معهود ومألوف.

ويعرفه ابن يعيش في شرح المفصل بقوله:

---

(١) القاموس المحيط، ١٤٣٠.

(٢) لسان العرب ص١٢/٢٠٣.

"أعلم أن معنى الادغام إدخال شيء في شيء، يقال: أدغمت اللجام في فم الدابة أي أدخلته في فيها... ومنه قولهم حمار أدغم وهو الذي يسميه العجم ديزج وذلك إذا لم تصدق خضرته ولا زرقته، فكأنهما لونان قد امتزجا. والإدغام بالتشديد – من ألفاظ البصريين وهو الأفصح وبالتخفيف من ألفاظ الكوفيين.

ومعناه في الكلام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحركاً من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لأعلى حقيقة التداخل والإدغام وذلك نحو شد، مد والغرض بذلك طلب التخفيف[٣].

ويلحظ بهذا التعريف أن صاحب المفصل أضاف إلى التعريف شيئاً دقيقاً هو أن اللسان ترتفع بالحرف المدغم رفعة واحدة، وأن الحرفين المدغمين لا يفصل بينهما فاصل بحركة ولا بغيره.

ويعرف علماء القراءات والتجويد الإدغام بأنه:

"اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً وينقسم إلى كبير وصغير[٤].

وهو ما كان بين متحركين (كبيراً) وما كان بين ساكن ومتحرك (صغيراً).

ويعرفه صاحب نهاية القول المفيد في علم التجويد بقوله:

اعلم أن الادغام معناه لغة الإدخال، يقال: أدغمت اللجام في فم الفرس: إذا أدخلته فيه، أدغمت الميت في اللحد إذا جعلته فيه.

واصطلاحاً: خلط الحرفين المتماثلين أو المقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفاً واحداً مشدداً يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة[٥].

---

(٣) المفصل، ص١٢١/١٠.

(٤) النشر في القراءات العشر، ص٢٧٤/١.

(٥) نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص ١٤٠.

وإذا ما وازنا بين تعريفات اللغويين والقراء والمجودين نجد أنهم يتفقون على أن الإدخال أبرز أنماط الإدغام، بل هو الشكل الوحيد له، وأن التشديد يكون ضرورة لا بد منها من جنس الحرف الثاني، ويرى أكثرهم أن ارتفاع اللسان بالحرف المشدد ارتفاعة واحدة وأنهم يلجأون إليه تخفيفاً وتسهيلاً جرياً منهم على سنة العرب في كلامهم.

أنواع الإدغام

يقسم اللغويين الإدغام إلى ثلاثة أقسام هي: **التماثل، والتجانس، والتقارب**، أما القراء والمجودون فيضيفون إليها الإدغامين الكبير والصغير.

وإذا كان مع النون الساكنة فيقسمونه إلى بغنة وبدون غنة.

وذهب سيبويه وابن جني وابن يعيش إلى الثلاثة الأولى (التماثل والتجانس والتقارب) إذ كانت نظرتهم لغوية محضة لا علاقة لها بما يكون من الغنة وبدونها لأن ذلك لا يدخل في باب اللغة بل في باب التجويد القرآني.

وصاحب النشر ونهاية القول المفيد وشراح متون القراءات والتجويد يضيفون الكبير والصغير والغنة وبدون غنة، وأنه يكون بين متحرك وساكن أو بين متحركين.

فالتماثل[٦] هو أن يتساوى الحرفان في المخرج والصفة والرسم: نحو الباءين، التاءين الطاءين والدالين، وغيرها ولا خلاف بين أهل اللغة وأصحاب القراءات في إدغام هذين النوعين حسب موقعه.

التقارب: وهو أن يقترب الحرفان صفة ومخرجا أو مخرجا لا صفة، أو صفة لا مخرجاً، وهذا الذي يعول عليه أهل اللغة في حديثهم عن تقارب المخارج وإدغام الحروف القريبة من بعضها نحو:

---

(٦) انظر نهاية القول المفيد، ص١٤٠ وما بعدها.

قل رب، بل ربهم، ونحو تقارب الدال مع الضاد وتقارب الطاء مع الضاد والدال مع التاء وهكذا[٧].

التجانس: وهو أن يتحد الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة نحو: "د، ط، ت"، "س، ص ز"، "ذ، ث، ظ".

فيراه علماء التجويد أنه متجانس في المخرج مختلف في الصفة فيسوغون إدغام بعضها ببعض نحو "قالت طائفة"، "إذ ظلم" ولم يظهر عند علماء اللغة هذا المصطلح بنفس التحديد والقياسات لأنهم اعتبروا التقارب يسد مسد التجانس، مع أنهم يشيرون في بعض ألفاظهم إلى تجانس الحرف صفة من حيث الاستعلاء والأطباق. [٨]

أما ما تحدث عنه علماء التجويد من الإدغام الصغير والكبير، الكامل والناقص وبغنة وبدون غنة، فإنهم يعرفونه كما يلي:

الصغير: وهو ما سكن فيه الأول وتحرك الثاني.

الكبير: وهو ما كان الحرفان فيه متحركين "وإدغام المتحرك بعد إسكانه إدغام كبير، وسمي كبيراً لكثرة وقوعه، ولأن الحركة فيه أكثر من السكون[٩].

ولم يشر إليه أهل اللغة بهذا الوصف بل إن ابن جني يرى أن إدغام الكبير يكون على المجاز لا على الحقيقة بل هو نوع من اختلاس الحركة في نحو "تأمنا، يوسف(١)، شهر رمضان، البقرة (١٨٥)" فيقول: لا بد من أن تكون النون الأولى مختلسة الضمة تخفيفاً وهي بزنه الحركة[١٠].

ويذهب علماء التجويد إلى أنه وقع على الحقيقة إذ يسكنون الأول ويدخلونه في الثاني ولربما سموه كبيراً لما يحتاج من عمل فيه.

---

(٧) انظر سر صناعة الإعراب، ص٣٠.

(٨) انظر الكتاب، ص٤/٤٨٢، ابن جني، ص١٥٥.

(٩) نهاية القول المفيد، ص٤٩.

(١٠) سر صناعة الإعراب، ص٥٧.

أما ما يسميه علماء التجويد بالكامل والناقص "بغنة وبدون غنة" فالكامل "بدون غنة" يرونه إدغام الحرف مع الصفة في نحو "من لدنه، الكهف(٢) – ملدنه، عن ربهم المطففين(١٥)، – عربهم".

وهو ما يشيرون إليه بذهاب الحرف مع الصفة" ويسمي الأول كاملاً لذهاب الغنة منه وهذا هو المشهور المأخوذ به[١١].

الناقص: هو إدغام الحرف دون الصفة، وهذا ما أشار إليه علماء اللغة وحددوه بأن تبقي رائحة صفته موجودة بعد الإدغام فيقول ابن جني: "فالحرف إذا أدغم بغير غنة مع حرف بعده فقد قلب الحرف إلى لفظ ما أدغم فيه البتة ويبقي رائحة الإطباق التي لا تخرج الحرف من أن يكون قلب إلى لفظ ما بعده.

مثل ذلك في نحو: "قالت طائفة الاحزاب(١٣)"، "إذ ظلم، النساء (٦٤) بقوله: (إذ ظلموا)" فالحرف الأول إذا أدغم في الثاني وبقيت رائحة الإطباق ظاهرة قلبت من جنس الثاني[١٢].

ويسمي الثاني ناقصاً لبقاء أثر الغنة فيه، والغنة هي صفة الحرف كما هو الإطباق وغيره[١٣].

الإبدال والقلب مع الإدغام

يقيم ابن جني منهجه في الإدغام على أن تقارب الحروف شرط لإبدال بعضها من بعض وهو ما يسميه بالإبدال اللغوي والإبدال التصريفي.

ويظهر أنه يرى الإدغام إنما يقع بين الحروف المتقاربة، وكذلك الإبدال، فمثلاً في وزن "إفتعلَ" وما تصرف منه فالثاء إذا كانت تاءً قلبت تاءً وأدغمت في تاء افتعل نحو "الثريد": إتردَ، متزد.

---

(١١) نهاية القول المفيد، ص١٦١.

(١٢) سر صناعة الاعراب، ص٥٦.

(١٣) نهاية القول المفيد، ص١٦١.

ويقول: "إنما قلبت تاءً لأن الثاء أخت التاء في الهمس فلما تجاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاءً وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعاً واحداً، ونحو من هذا قوله تعالى: "يصلحا" في بعض القراءات[14].

ولذلك أشار سيبويه كذلك في نحو: "يصلحا، مصبر – مصطبر".

وأما القرطبي فإنه ينكر ذلك بقوله:

"يصلحا عن الجحدري... ومن قرأ يصَّلِحا، النساء(١٢٨) فالأصل "يصتلحا" ثم صار إلى يصطلحا ثم أبدلت الطاء صاداً وأدغمت فيها الصاد، ولم تبدل الصاد طاءً لما فيها من امتداد وزفير[15].

ويرى ابن جني الإبدال حيناً للإدغام وحيناً لغيره.

أما إبدال الإدغام فيكون في نحو قولك: "ادكر – اذكر"، "وتد – ود".

كقول الشاعر:

يا ليت لي سلوة يشفى الفؤاد بها … من بعض ما يعتري قلبي من الدكر

أما الإبدال لغير الإدغام فيكون في نحو قولك "تولج – دولج" فأبدلوا الدال من تاء "تولج" ويظهر هذا الإبدال للإدغام من نحو اذدكر – ادكر وكذلك من وتد.

أما سيبويه فلم يفرق بين إبدال الإدغام وغيره إنما يرى أن الإبدال يكون مكان الحرف الذي هو أشبه شيء بالحرف نفسه. فيقول: "كذلك تبدل الذال من مكان الثاء أشبه الحروف بها لأنهما إذ كانتا في حرف واحد لزم أن لا يبينا إذ كانا يدغمان منفصلين نحو "مدكر" ... وإنما منعهم من أن يقولوا "مذدكر" كما قالوا: "مزدان"، أن كل واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام[16].

---

(١٤) سر صناعة الإعراب، ص١٧٢.

(١٥) الجامع لأحكام القرآن، ٥/٤٠٥.

(١٦) الكتاب، ص٤/٤٦٩.

ولعل ابن جني يفرق بين إدغام الإبدال وما يكون لغة ثانية أحياناً مستخدمة في لغة العرب، ولها أصل آخر في نحو: "ادكر" وما بين قولك "جثوت، جثوت" إذا قمت على أطراف أصابعك كقول الشاعر:

إذا شئتُ غنّتني دهاقينُ قريةٍ   وصناجة تجثو على كل منسم(17)

وكذلك لفظ "تلعثم، تلعذم" فليس عنده بإدغام بل هما لغتان في لفظتين منفصلتين لكل منهما أصل وجذر.

ويظهر ذلك بإبدال الذال مكان الثاء في تلعثم، أما إبدال الإدغام نحو "ادكر" فإن الثاء مكان الذال فالإبدال حصل فيها لأجل وقوعها في ما بعدها وهي الدال لما لهما من توافق في المخرج. وأما الإبدال في الحروف خاصة فيما جاء على وزن "افتعل" نحو "اتزن، اتعد" فإن فاءه واو والواو قلبت تاءً وتدغم التاء في "افتعل" التي بعدها نحو قول الشاعر:

فإن تتعدني اتعدك بمثلها   وسوف أزيد الباقيات القوارصا

فيعلل ذلك بما يناسب مخرج الحرف وقوته وثباته أمام المتغيرات التي تطرأ على الكلمة فيقول: "فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين من قلبها مرة ياء ومرة ألفاً ومرة واواً إلى ما أريناه، أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلداً تتغير أحوال ما قبله وهو باقٍ بحاله وكانت التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة فأبدلوها تاء وأدغموها في لفظ ما بعدها وهو التاء "اتعد، اتزن" وقد فعلوا هذا أيضا في الياء وأجروها مجرى الواو فقالوا في "افتعل" من اليبس واليسر: "إتبس، إتسر" وذلك لأنهم كرهوا إنقلابها واواً متى انضم ما قبلها في نحو "موتبس" وألفاً في "ياتبس" فأجروها مجرى الواو فقالوا: إتبس، إتسر"(18).

---

(17) سر صناعة الإعراب، ص1/189.

(18) سر صناعة الإعراب، ص1/147.

وفي كلمة "ست"، "سدس" من التسديس فإنهم عندما صغروا قالوا سديسة لكنهم قلبوا السين الآخرة تاء لتقرب من الدال التى قبلها وهي مع ذلك حرف مهموس، كما أن السين مهموسة فصار التقدير "سدت" فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربت في المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها في الهمس ثم أدغمت التاء في التاء فصارت "ست" (١٩).

ويبدو أنه ينظر إلى الإبدال في الحرف أو القلب بما يناسب الحرف في بعض الصفات أو التقارب في المخرج فكان الإدغام هروباً من بعض تراخي الحرف أو توهينه ليكون بالإدغام قويا ثابتاً أمام المتغيرات التي تطرأ على الكلمة فيما قبل الحرف وبعده.

ويذهب سيبويه إلى أن إدغام الدال في السين في كلمة "ست" أنهم كرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سيناً فتلتقي السينات ولم تكن السين لتدغم في الدال لما فيها من الصفير. فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا وهو حرف التاء كأنه قال "سدت" ثم أدغم الدال في التاء ولم يبدلوا الصاد لأنه ليس بينهما إلا الإطباق (٢٠).

ويرى ابن جني أن الإدغام والقلب والإبدال في الكلمة إلى الحرف القريب من المبدل منه لتوافقها في الصفة، أما سيبويه فيرى أن ذلك هروب من الثقل إلى الخفة لما في بعض الحروف من صفات قد تمنع دخولها فيما بعدها كالإطباق أو الصفير.

ويبدو أن المصنف يعول على أصحاب القياس الحذاق الذين ينظرون إلى قلب الحروف في بعض الأسماء، كما هو الحال في قلب أو إبدال الواو من الألف الزائدة في نحو: "كتاب، غزال، غراب" لأنك إذا حقرت قلت: "كتيب، غزيل،

---

(١٩) سر صناعة الإعراب، ص١٥٥/١.

(٢٠) الكتاب، ص٤٨٢/٤.

غريـــب" فحصل فيها الإبدال ثم القلب ثم صرت إلى الإدغام فيقول: فإنك لم تبدل ألف كتاب في أولها لياء التحقير ياء إنما المذهب عندهم أنك قلبت الألـــف واواً فصار التقدير "كتيوب، غزيول، غريوب".

فلما اجتمعت الياء والواو وسبقت الياء بالـــسكون، قلبـــت الـــواو يـــاء، وأدغمت ياء التحقير فيها فقلت "كتيب، غزيل، غريب" فالياء إذن في "غزيل" إنما هي بدل من واو بدل من ألف المد وكذلك ما أشبه[٢١].

ويرى أن علة إدغام الواو والياء أنهما إذا أدغمتا فيما بعدهما بعدتا عـــن الاعتلال وشبه الألف فالألف لا تدغم أبداً. وكذلك فإن قوتهما بالإدغام يبعـــدهما عن تسلط الحركات قبلها على قلبهما وإن كان بعضهم يقلب الواو من هذا للكسرة قبلها ياء فيقول "إجلواذ – إجليواذا"، أخروط – إخريواطا" ولم يقلب الواو الآخرة وإن كانت قبلها ياء ساكنة ياء "اجلياذ" لأن قلب الأولى عارض وليس بلازم، ولا واجب نحو "ديوان"[٢٢] ويبدو لنا أن الإدغام بعد القلب في رأيه يـــصح الحـــرف ويحصنه عن القلب أو الإبدال ومثل ذلك: "الفتوية، النّدوية، الفتوى".

فتراه يعلل إبدال الواو ياء فيقول:

"لكنهم أبدلوا الياء واواً للضمة قبلها، ولم يعتدوا بالواو الساكنة حـــاجزاً لضعفها فلما قلبوا الياء واواً أدغموا الأولى فيها، فصحت لأن الأولى حـــصنتها بإدغامهم إياها فيها، ولولا أن الأولى أدغمت في الآخرة لما جاز أن تقع واواً في اسم طرفا بعد ضمه. وهذا واضح ويدل على أن "الندوة" من الياء قولهم "فـــلان تكرم وندى" بالإمالة فدلت الإمالة على أنه من الياء...[٢٣].

---

(٢١) سر صناعة الإعراب، ص٢/٥٨٣.

(٢٢) سر صناعة الإعراب، ص٢/٥٨٦.

(٢٣) سر صناعة الإعراب، ص٢/٥٨٨.

ويبدو أنه يكون في الكلمة قلب مع إبدال تارة، وربما لا يكون إلا أحدهما تارة أخرى، ونراه يتحدث عما جرى في الكلمة من قلب ودخول الإدغام فيها، دخولا يغير صورتها النهائية، من خلال حديثه عن كلمة "أيّاً" فيقول:

فأما إفْعَلُ فأصله "إيْوَي" فقلبت الياء التي هي لام ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت "اوا" وقلبت الهمزة الثانية التي هي فاء الفعل ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها فصارت "إيوا" فلما اجتمعت الياء والواو، وسبقت الياء بالسكون، قلبت الواو ياء، وادغمت الياء فصارت "ايّا"[٢٤].

ويبدو من خلال حديثه عن الأفعال أن الإدغام والإبدال والإعلال، يدخل في الفعل وتصريفاته أكثر من دخوله في الاسم، لأن الفعل لا يستقر على حالة واحدة.

ونراه كذلك يعقد موازنة بين الأسماء والأفعال في أصلها وثبوتها على صورة واحدة وتركيب واحد، وما يطرأ على كل منهما من تغير في الأساس والبنية، وكيف يدخلها الإدغام حيث يبين أصل كل منهما، وأين يكون الإدغام أفي أصل الكلمة أم في صورتها النهائية؟ ويرى ذلك واضحا في أثناء الموازنة بين كلمة "أيوي": وإياك".

ففي "إيوي" قلبت الهمزة الثانية ياء لاجتماع الهمزتين فصارت "إيوي" وقلبت الواو ياء لوقوع الياء الساكنة المبدلة من الهمزة قبلها، فصارت "إييي" فأدغمت الأولى في الثانية فصارت "إيي" فاجتمعت ثلاثة ياءات فحذفت الآخرة تخفيفا، وليس كذلك في كلمة "إياك" لأنها اسم ثبتت همزتها وحركتها في كل الأحوال على صورة واحدة[٢٥].

أما حديثه عن الآية في قوله تعالى "أثاثا وريا" فإن القراء يختلفون في قراءتها بعضها "وريا" وبعضهم يقرؤها "ورئيا".

---

(٢٤) سر صناعة الإعراب، ص٦٥٧.

(٢٥) سر صناعة الإعراب ص٦٥٨ وما بعدها.

هذا في الوصل أما في الوقف فإن حمزة وقالون ومن تابعهم قرأوا بالإبدال من غير إدغام "وريا"(٢٦).

مما تقدم يظهر منهج ابن جني في إدغام بعض الكلمات في بعض الحروف أثناء تصريفها وانقلاب صورتها، ويظهر لذي عينين أنه يخلص من الإدغام إلى الإعلال أو الإبدال او القلب ويلحظ كذلك أنه يدخل من الإدغام إلى الإعلال أو إلى الإبدال أو القلب في صور متكررة ومختلفة للكلمة حين يبدأ في الحديث عنها. لكن القراء ينقلون نقلاً من خلال السند ولا يعولون على القياس اللغوي لأن القراءة اتباع للتلقي، وإجماع من الأمة عليها (٢٧).

صفات الحروف ومخارجها

من ينظر في سر الصناعة يتبين له أن المصنف يولي صفات الحروف عناية خاصة في أثناء حديثه عن الإدغام أو القلب والإبدال أو الإعلال، وما يتبع ذلك من مسوغات للإدغام أو موانع، فيذهب إلى أن صفات الحروف قد يكون بعضها مانعاً من الإدغام، لأن إدغامها فيما بعدها، أو في غيرها يسلبها ما فيها من صفات قياساً لغوياً، فيقول:

"واعلم أن الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير (٢٨).

---

(٢٦) سورة مريم الآية (٧٣) الميسر في القراءات الأربعة عشر.

(٢٧) انظر: العلامة الإعرابية بين ورش وحفص، شوكت درويش، ص٥١-٥٤، دار يافا العلمية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢٨) سر صناعة الإعراب، ص١٩٣. وانظر: الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، ص١/٣٥٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(٢) ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

وهو بهذا يدفع بعض القراءات القرآنية المتواترة، لما فيها من إدغام بعض الحروف التي لا يصح إدغامها في مذهبه، من نحو قوله تعالى "اغفر لنا، يغفر لكم" فيقول:

فأما قراءة أبي عمرو "يغفر لكم، نوح(٤)" بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا، وغير معروف عند أصحابنا، وإنما هو شيء رواه القراء، لا قوة له في القياس،[٢٩] وهذا هو مذهب البصريين عامة إذ وقفوا من القراء، والقراءات مذهبا خاصة إذا خالفت قواعدهم ومعاييرهم، وهذا المذهب يتبناه جمهور النحويين البصريين، فقد ردّوا طائفة من القراءات المعتبرة، وهم يجانبون الحق في هذا؛ لأن قواعدهم يجب أن تسير وراء القراءة لا أمامها، لأن القراءة أثر مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه[٣٠].

فالقياس عنده من أهم مقومات مذهبه في الإدغام وغيره في حديثه عن الكلمات والحروف وفي كتابه بشكل واضح. وربما وافقه على مذهبه بعض علماء اللغة مثل ابن يعيش في شرح المفصل[٣١] وهو بصري المذهب.

وعلماء القراءات على حق، لأنها لغة منقولة عمن صحت لغته من العرب يجيزون إدغام الراء في اللام لما لها من قرب في المخرج والصفة من اللام، ويرونه من باب إدغام التقارب فيقول ابن الجزري في النشر[٣٢].

"والراء تدغم إذا تحركت في اللام بأي حركة تحركت هي نحو: "أطهر لكم، هود(٧٨)، ليغفر لك، الفتح(٢)" ويرى ذلك أيضا الجريسي فيقول [٣٣].

---

(٢٩) سر صناعة الإعراب، ص٦٥٨ وما بعدها.

(٣٠) انظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص٣٦-٤٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ.

(٣١) المفصل ص١٣٣/١٠.

(٣٢) النشر ص١/٢٩٢، وانظر: القاضي، عبد الفتاح، البدور، الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ص٦٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(١) ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

"وأما الراء فتدغم في اللام إذا تحرك ما قبلها نحو: "سخر لكم، النحل(١٢)، للبشر لمن، المدثر(٣٦-٣٧)" فإن سكن ما قبلها، أدغمت في موضع الخفض والرفع نحو "والنهار لآيات، آل عمران(١٩٠)" ولا تدغم في موضع النصب نحو: "الحمير لتركبوها، النحل(٨)".

فالفرق واضح بين ما عليه ابن جني، وما عليه علماء القراءات، في إدغام الراء في اللام ويظهر أن ما يركز عليه ابن جني، هو صفة الحرف وبقاؤه أو سلبه بالإدغام وعدمه.

ويظهر أن ابن جني تابع سيبويه، لأنه بصري المذهب مثله في ذلك، ويظهر ذلك من خلال صفة الحرف فيقول:

"والراء لا تدغم في اللام" ولا في النون لأنها مكررة وهي تفشٍ إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها، فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر. ويقوي هذا أن الطاء وهي مطبقة لا تجعل مع التاء خالصةً لأنها أفضل منها بالإطباق. (٣٤)

ويذهب صاحب المفصل، إلى أنه لا يدغم حرف في حرف فيه زيادة صوت مع ما هو أنقص صوتا منه، في نحو حروف "ضم شفر"، لا تدغم في مقاربها بينما يدغم مقاربها فيها(٣٥).

ويبدو أن شرط ابن جني وأصحاب اللغة أن لا يُذهب الإدغام صفة الحرف في بعض الحروف خاصة.

أما علماء القراءات فيدغمون ويفرقون بين ذهاب الحرف مع الصفة، أو ذهاب الحرف دون الصفة كما أسلفنا في تعريف الإدغام.

---

(٣٣) نهاية القول المفيد ص١٣٦.

(٣٤) الكتاب، ص٤٤٨/٤.

(٣٥) المفصل، ص١٣٣/١٠.

فحروف "ضم شفر" تدغم عند أصحاب القراءات، ويدغم فيها، ويمتنع ذلك عند أهل اللغة إلا الضاد، فإنهم أجازوا ذلك كما ينقل ابن جني عن بعضهم، أنه يجيز إدغامها فيما بعدها نحو "اضطجع" – "اطَّجَعَ"(٣٦).

ويلحق بها سيبويه الهمزة، حيث يرى أنها لا تدغم فيما بعدها؛ لأن أمرها في الاستثقال التغير والحذف، وذلك لازم لها وحدها، كما يلزمها التخفيف، لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها، أو ما قرب منها أجريت عليه وحدها ومثلها الألف(٣٧).

أما علماء القراءات فإنهم يجيزون الإدغام في كثير من الحروف، المتقارب منها والمتجانس، حسب اصطلاحهم في ذلك، ويفرقون بين ما كان كاملا منه، وما كان ناقصاً، فمثلا يدغمون الدال في الضاد، "قد ضل" والسين في الشين "الرأس شيباً، مريم(٤) والضاد في الشين "لبعض شأنهم، النور(٦٢)" والدال في السين "الاصفاد سرابيلهم، إبراهيم(٤٩-٥٠)" كما ذكر ذلك صاحب شرح طيبة النشر(٣٨).

وأفرد علماء القراءات أبواباً كثيرة للإدغام، فيما بين الحروف على اختلاف روايات القراء وأخذهم، ولكن شرطهم في الإدغام كما هو واضح من خلال التعريفات، إنما هو في تفريقهم ما بين الإدغام الكامل والإدغام الناقص.

ويذهب المصنف إلى أن توافق الحرفين صفة أو مخرجاً، أو تقاربها يعتبر من ضرورات الإدغام ويشترط مع ذلك كله عدم ذهاب صفة الحرف الخاصة به، نحو "ظلمته فاظلم" لما بين الطاء والظاء من المقاربة في المخرج والصفة بالإطباق والاستعلاء. ومن أجاز ذلك لم يجزه في الضاد مع الصاد لما

---

(٣٦) سر صناعة الإعراب، ص٢١٤/١.

(٣٧) الكتاب، ص٤٤٦/٤.

(٣٨) شرح طيبة النشر، ص٦٣.

في الصاد من الطول والصفير. ويشاركها في ذلك أختاها السين والراء وكذلك الظاء والثاء والذال.

أما الضاد فلأن فيها طولاً وتفشياً، والسبب أن لا يسلبهن الإدغام ما فيهن من الصفير[٣٩].

ويفرق سيبويه في الإدغام فيجيز بعضها نحو "مُطَّعِنٌ، مُطَّلِمٌ، مُتَّرِد، مُصَّبِر" وأقيسها عنده "مطعن، مطلم"، لأن أصل الإدغام عنده أن يتبع الأول الآخر، وليس الأصل أن يقلب الآخر فيجعله موضع الأول[٤٠].

فتفريقه من حيث أن الأول في الإدغام يتبع الآخر، ولا يجوز أن يجعل الآخر قلبا مكان الأول فتظهر نظرته المفترقة عن نظرة ابن جني في إدغام بعض الحروف خاصة من ناحية صفة الحرف وقربه وبعده ومسوغه.

ويذكر ابن عصفور أن صفات الحروف من أهم دعائم الإدغام فيما بين المتقاربين فيقول:

"وإنما ذكرت صفات الحروف، لأن إدغام المتقاربين يبنى عليها أو على أكثرها"[٤١].

أل التعريف

تدغم أل التعريف مع ثلاثة عشر حرفاً، ولعل المصنف ينظر إلى الإدغام على أنه فيه شدة اتصال ما بين الحرفين المدغمين، فلما كانت اللام أكثر حروف المعجم، وأشدها مشاركة لحروفه، جعلوها آل التعريف، وأدغموها في ثلاثة عشر حرفاً... ليصلوا بذلك إلى الإدغام المترجم عما اعتزموه من شدة اتصال

---

(٣٩) سر صناعة الإعراب، ص١/٢١٨.

(٤٠) الكتاب، ص٤/٤٦٩.

(٤١) الممتع في التصريف، ص٢/٦٧٨.

حرف التعريف بما عرفه، يستدل بذلك على أنه قد نقله عن معنى التنكير إلى معنى التعريف... ولو جاءوا بغير اللازم لما أمكنهم ذلك[٤٢].

ويرى أنها مدغمة في جميع اللغات، إذا كانت للتعريف، أما إذا كانت لغير التعريف فتكون مظهرة مثل "هل ثم أحد" ويراها كذلك بالتخيير نحو "هل ثوب، بل تؤثرون". وقد جاءت القراءات القرآنية بإدغام بعضها، وإظهار بعضها الآخر، بل إن القراء يعقدون فصولاً كاملة للحديث عن إدغام لام "هل، بل" بما بعدها[٤٣]. ويظهر أن ابن جني ذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه لكن سيبويه ينظر إلى الضاد والشين لاستطالة الضاد ورخاوتها واتصالها بمخرج اللام وكذلك الشين فيخرجهما منهما لهذا السبب، ويذكر أن جميع الحروف الباقية - الأحد عشر - يجب معهن الإدغام مع أل التعريف. أما إذا كانت اللام لغير التعريف فبالتخيير ويستشهد بالشعر فيقول:

فدع ذا ولكن هتعين مُتيما على ضوء برقٍ آخر الليل ناصب.

يريد: هل تعين[٤٤].

بينما يرى ابن عصفور أن الإدغام حصل مع هذه - الثلاثة عشر - حرفاً مع أل التعريف لسبب، هو أن اللام تخرج من طرف اللسان، وكذلك هذه الحروف الثلاثة عشر فيقول "وإنما أدغمت في هذه الحروف لموافقتها لها، وذلك أن اللام من طرف اللسان وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان، وحرفان منها هما الضاد والشين، يخالطان طرف اللسان، وذلك أن

---

(٤٢) سر صناعة الإعراب، ص١/٣٤٧.

(٤٣) شرح طيبة النشر، ص١/١٢٨، وانظر: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، ص١٢، ط(٣)، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مكتبة دار الهدى للنشر.

(٤٤) الكتاب، ص٤/٤٥٧.

الضاد لاستطالتها اتصلت بمخرج اللام، وكذلك الشين بالتفشي الذي فيها لحقت أيضاً مخرجها(٤٥).

ويرى كذلك كشيوخه البصريين أنها إن كانت لغير التعريف، فالإدغام بالتخيير لعامل المقاربة وحين تحدث عن إدغام التقارب، ذكر أن إدغام أل التعريف يتعين لثلاثة أسباب **أولها** ثقل اجتماع المتقاربات، **وثانيها** كثرة التكلم بها **والثالث:** أنها مع ما بعدها كالكلمة الواحدة، لهذا التزم فيها الإدغام فيما يخص أل التعريف(٤٦).

النون والميم

نراه يجعل إبدال الحروف من بعضها إدغاماً في نحو الميم والنون الساكنة، ويحكم الإدغام في تسويغ إبدال الحروف من بعضها في نحو: الميم والنون إذا كانت نوناً ساكنة وقعت بعد باء، نحو "**قنبر، ينبغي**" فيوازن ويقيس ويستخدم المتشابهات في الحروف ليقيس عليها فيقول:

"فالنون أخت الميم، والميم تدغم في النون نحو: "**من معك**" فلما كانت تدغم النون مع الميم وهي أخت الباء لأنهما شفويتان أرادوا إعلالها مع الباء إذ قد أدغموها في أختها ولما كانت الميم وهي اخت الواو ولا تدغم فيها فلا نقول "**أقبكراً**" من **أقم بكراً**.

فما كان ذلك كذلك أعلوها دون إعلال الإدغام فقربوها من الباء بأن قلبوها إلى لفظ قريب من الباء، وهو الميم فقالوا "**عمبر**" **قمبله**" من "**عنبر وقنبله**"(٤٧).

---

(٤٥) الممتع في التصريف، ص٢/٦٩٢.

(٤٦) الممتع في التصريف، ص٢/٦٩٤.

(٤٧) سر صناعة الإعراب، ص٤٢١-١/٤٢٤.

فهذا عند علماء التجويد، ليس إدغاماً، بل هو إقلاب، وهو شبه الإدغام لأن فيه قلباً وغنة وربما لوجود الميم إذ إن الميم من الحروف الشفوية التي تصحبها الغنة فيقول صاحب نهاية القول المفيد في علم التجويد: "والمراد هنا قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مخفاة قبل الباء الموحدة مع بقاء الغنة ظاهرة... قال المرعشي: والظاهر أن معنى إخفاء الميم ليس إعدام ذاتها بالكلية، بل إضعافها وستر ذاتها في الجملة، بتقليل الاعتماد على مخرجها، وهو الشفتان لأن قوة الحرف وظهور ذاته، إنما هو بقوة الاعتماد على مخرجه، وهذا كالإخفاء والحركة، في قوله "تأمنا" إذ ذلك ليس بإعدام الحركة بالكلية بل تبعيضها[٤٨].

وهذا ليس إدغاماً، لكنه في الوقت نفسه قلب الحرف من حالة إلى حالة، فهو شبيه الإدغام، لأن الإدغام يلزمه في بعض الحالات قلب للحرف من جنس الثاني أو تحويله.

ويذكر ابن عصفور ذلك ويعلق عليه، فيقول: "فلما تعذر إدغامها في الباء قلبت معها ميماً؛ لأن الباء من مخرج الميم فعوملت معاملتها، فلما قلبت النون مع الميم ميما قلبت أيضا مع الباء وأمن الالتباس لأنه ليس في الكلام ميم ساكنة قبل باء [٤٩].

وهذا يوافق رأي ابن جني، عندما منع "أقم بكراً" وأن النون عندما يصادفها باء تقلب ميماً، فاللغويون لا يعتبرونه إدغاماً، بل شبيهاً بالإدغام، وكذلك بعض علماء التجويد لا يرونه إدغاما، إنما هو عندهم اختلاس لحركة الميم بعد قلبها، لأن مخرجهما واحد هو الشفة.

---

(٤٨) نهاية القول المفيد، ص١٦٢ و ١٦٣.

(٤٩) الممتع في التصريف، ص٢/٦٩٨.

ولذلك يري القراء أن للنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام مع الحروف هي: "**الإظهار، الإدغام، الإقلاب، الإخفاء**".

وكذلك يجعلون للميم الساكنة ثلاثة أحكام هي: "**الإخفاء، والإظهار، والإدغام**" وتسمي هذه الأحكام الخاصة بالميم الساكنة، بالشفوي "**إخفاء شفوي**"، "**إظهار شفوي**"، **إدغام شفوي**" أو إدغام مثلين، والسبب في ذلك تعلقها بالميم الساكنة، وهي شفوية لوقوع مخرجها من الشفتين معا.

الميزان الصرفي

يتخذ ابن جني من الميزان الصرفي سبيلا للحديث عن الإدغام، فتراه يتناول اللفظ ويقوم بتحليله ويبين من خلال الإدغام كيف تركيبت الكلمة من أصولها، من ذلك قوله "**وقياً- عوياً**" التي بوزن "**فعلى**" إذا كانت إسماً لا وصفاً، وما شابهها، ففي أثناء حديثه عن أصل "**عويا**" يقول:

"فالجواب أنهم إنما قلبوا ياء "**عويا**" واواً لعلة مشروحة عند أصحاب التصريف، وذلك أن "فَعْلَى" إذا كانت إسماً لا وصفاً، وكانت لامها ياءً قلبت ياؤها واواً، وذلك نحو "**التقوى**" أصلها وقياً، لأنها فعلى من وقيت، **والثّنوى** وهي فعلى من ثنيت، **والبقوى** وهي فعلى من بقيت، فقلبت الياء التي هي لام واواً، وقبلها العين التي هي واو، فالتقت واوان الأولى ساكنة، فأدغمت في الآخرة فصارت "عوى"، كما ترى ولو كانت فعلى صفة لما قلبت ياؤها واواً، ولبقيت بحالها نحو: "**الخَزيا**" "**الصّديا**" ولو كانت قبل هذه الياء واو لقلبت الواو ياء، كما يجب في الواو والياء إذا التقتا وسكن الأول منهما، نحو "**امرأة طيّا وريّا** "ولصلها" **طويّا، رويا**" لأنهما من طويت ورويت، قلبت الواو منهما ياء وأدغمت في الياء بعدها، فصارت "**طيا، ريا**" ولو كانت ريا اسماً لوجب أن يقال "روى"(٥٠).

---

(٥٠) سر صناعة الإعراب، ص٨٩، ١/٨٧.

ويبدو أنه يتخذ من الإدغام دليلاً يستدل به على صحة مذهبه، ووسيلة لتحليل الألفاظ على شاكلة ميم "مهدد"، أهي حرف أصلي أم زائد؟ فذهب إلى أنها مثل، جعفر، حبتر، التي بوزن فعلل فتراه يقول:

"ويدل على ذلك أنه لو كان مفعلاً لوجب أن تدغمه، فتقول "مهد" كما قالوا في "مسد، مرد، وأما محبب" فمفعل"، وإنما يدغم لأنه علم، والاعلام قد تأتي كثيراً مخالفة لأصول الأجناس، وذلك نحو: "مهلل" "مورق" "موظب"، "مزيه"[٥١].

ثم يوازن بين أصل مهدد ومحبب، فأصل مهدد "م هـ د"، أما محبب فلم يوجد في كلام العرب ما هو "م ح ب" بل وجد في كلامهم ما أصله" ح ب ب"[٥٢].

فمثل هذه الموازنة، تعكس لنا مدى احتفاله بالإدغام، واعتداده به في الكشف عن أصل اللفظ، وتحديد موضع الحروف الزائدة فيه، وتبين أهمية الوزن الصرفي وأصل الكلمة في دخول الإدغام عليها أو عدمه.

أما عندما ننظر إلى ما كان مركباً في الأصل من كلمتين نحو "لكنا هو، الكهف(٣٨)" فإنه يحللها ويرجعها، ويظهر رأيه فيما حصل فيها من إدغام، حوّلها إلى صورتها التي ظهرت بها، فتراه يقول: "وأصلها، لكن أنا، فلما حذفت الهمزة للتخفيف، والتقت فتحتها على نون لكن، صار التقدير لكننا، فلما اجتمع حركتان مثلان متحركان، كره ذلك، كما كره شدد وحلل فأسكنوا النون الأولى، وأدغموها في الثانية، فصارت لكنا، كما أسكنوا الحرف الأول من، شدد وحلل، وأدغموه في الثاني، فقالوا: شد حل، أفلا ترى أنهم أجروا المنفصل، وهو لكن أنا مجري المتصل في شد وحل.

ولم يقرأ أحد لكننا مظهراً فهل ذلك إلا لاعتدادهم بالحركة وإن كانت غير لازمة[٥٣].

---

(٥١) سر صناعة الإعراب، ص١/٤٢٦.

(٥٢) سر صناعة الإعراب، ص٢/٤٨٥.

ويبين أن بعض الألفاظ جاءت على التخفيف، في نحو: "رؤيا، ريا"، وأصلها رويا لأنهم أجروا الواو في رويا، وإن كانت بدلاً من الهمزة، مجرى الواو اللازمة، فأبدلوها ياءً وأدغموها في الياء بعدها، فقالوا: "ريا" في نحو طويت طياً وشيت شيا[٥٤].

ويعتد ببعض القواعد الصرفية التي تخص الإدغام، أو أنه أوردها على سبيل التقعيد فقال: "كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها قلبت ياءً نحو: "ميقات، ميزان"، فأصلها موقات، موزان، فيحترز عن الإدغام؛ لأنه يحصن الحرف ويمنع عنه القلب والإبدال، أو التغير فيقول: كذلك أن الواو إذا أدغمت لم تقلب، فإن كانت الواو مدغمة لم تقلب الأولى منهما، وإن انكسر ما قبلها لتحصنها بالإدغام في نحو "جلواذ"[٥٥].

وعلى هذا فإن ابن جني، يذهب إلى أن الإدغام يحصن الحرف ويقويه، لأنه دخل فيما بعده، فالحرف إذن، ضعيف قبل الإدغام فيجترؤ عليه فيقلب، أو يبدل، لكن الحرف إذا كان مشدداً بمعنى مدغماً يصعب أن يحول أو يتغير، أما إذا خيف اللبس والأشتباه فإنه يعدل عن الإدغام، ويستدل على رأيه بألفاظ استخدمها العرب.

وشاعت عنده نحو: "سيد، ميت"، وبين "بيع وسير"، وما حصل فيها من قلب وإدغام فيرى أنهم عدلوا عن استخدام صيغة "بيع، وسير" مخافة اللبس أو الالتباس بوزن فُعِّل[٥٦].

---

(٥٣) سر صناعة الإعراب، ص٢/٤٨٦.

(٥٤) سر صناعة الإعراب، ص٢/٤٨٦.

(٥٥) المصدر السابق ص٢/٧٣٤.

(٥٦) المصدر السابق ص٢/٧٣٥.

موانع الإدغام

ويذهب ابن جني إلى أن اختلاف الحرفين في أصل الكلمة، يعد من موانع الإدغام، ويضرب مثلا لذلك، نحو: "تصدية". فلربما كانت أصلا من كلمة يصدون، إلا أنه يري أن اختلاف الحرفين في الأصل منع الإدغام، فيقول: "ألا ترى أن أصلها "تحللة، تطللة" فلما قلبت الدال الثانية من تصدية تخفيفاً اختلف الحرفان فبطل الإدغام [٥٧] لما له من تأثير على بنية الكلمة وتركيبها، وعند علماء اللغة موانع للإدغام كثيرة أجملها ابن مالك في قوله:

أول مثلين أدغم إن سكنا ... وليس همزة نأت عن فالبنا

وليس هاسكت ولا مداً ختم ... أو مبدلاً إبداله لم يلتزم

إذا سكن أو التقي مثلان في كلمة أو كلمتين، وجب الإدغام، إن لم يكن همزة نحو: "تبيء أخاك" ولا هاء سكت نحو، "ماليه هلك، الحاقة (٢٨-٢٩)" ولا مداً ختم به نحو "الذي يوسوس، الناس(٥)" ولا بدلاً غير ملتزم، نحو: "يووي"، أو موصولاً بمدغم، نحو: "ضَرَبَّب، فلم أدغم المدغم فيه التقي ساكنان، أو ملحق نحو: "هيلل" أو جلبب[٥٨].

أما علماء القراءات فيرون الموانع ثلاثة هي:

تاء ضمير، متكلماً أو مخاطباً.

مشدد: رب بما، مس صقر.

منون: غفور رحيم، سميع عليم.

هذه متفق عليها، أما المختلف عليها فهي ثلاثة أيضا:

الجزم، وقلة الحروف، وتوالي الإعلال[٥٩]

---

(٥٧) سر صناعة الإعراب، ص٢/٧٦٢.

(٥٨) شرح الكافة الشافية، ص٤/٢١٧٥.

(٥٩) النشر في القراءات العشر، ص ٢/٢٧٩.

وهذه الموانع عند علماء اللغة، وعلماء القراءات، كانت تبين أن الإدغام وإن كان للتخفيف، ولسهولة النطق بالحرف والكلمة، إلا أن هناك ما يمنع من دخول الإدغام، حتى لا تشتبك الحروف، ويذهب جرس الكلمة ورونقها، وحتى لا يؤثر على بنيتها. وخوف الالتباس بغيرها، ومع توسع علماء التجويد في الإدغام، إلا أنهم اتفقوا على أن لا تدغم هذه الكلمات الأربع وهي "دنيا، بنيان، صنوان، قنوان".

يقول صاحب نهاية القول المفيد:

"ولا خامس لهن، فإنها تظهر لئلا يلتبس بالمضاعف لو أدغم، وهو ما تَكَرَّرُ أحد أصوله كصوان و رمان و ديان لأنك إذا قلت الديا وصوان، ألبس، ولم يفرق السامع بين ما أصله النون، وما أصله التضعيف، فلم يعلم أنه من الدني والصنو، أو من الدي والصو.

فأبقيت النون مظهرة[٦٠].

أما الشاطبي فإنه يقول في منظومته

وعندهما للكل أظهر بكلمة مخافة إشباه المضاعف أثقلا[٦١]

ويرى كذلك أن بعضهم اشترط لصحة الإدغام، أن لا تكون الكلمة قليلة الحروف فقال في مكان آخر من منظومته:

وإظهار قوم آل لوط لكونه قليل حروف ردة من تنبّلا[٦٢]

ويلحظ أن المصنف، منع الإدغام من خلال صفات الحرف، وما تركب فيه من قوة أو ضعف أو خوف من ذهاب صفته إذا أدغم أو خوفاً من أن يسلبه الإدغام صفته ورونقه لهذا منع إدغام الراء في اللام خوفاً من ذهاب تكرير الراء

---

(٦٠) نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص١٦١.

(٦١) حرز الأماني ووجه التهاني، ص٢٤ ص١٠.

(٦٢) السابق ص١٩٣/١.

ووفورها: "وأعلم أن الراء لما لها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من التكرير من الحروف لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير[٦٣] وذهب سيبويه[٦٤] قبله إلى الشيء نفسه، وكذلك ابن يعيش في المفصل[٦٥].

مذهبه في الحروف والحركات

يرى المصنف أن الحرف قوي بالحركة، فإذا ما سكن ضعف، وعادة ما يكون السكون للتخفيف، الذي هو مسوغ للإدغام أو دخول الحرف الساكن فيما يليه، كما في نحو: "وَتِد – وتْد – ودّ " فالحرف الساكن ضعيف حتى يدغم فيما يليه أو يبدل فيقول:

"ثم أنهم لما أسكنوا التاء تخفيفا ضعفت بالسكون، فاجترءوا عليها بأن قلبوها إلى لفظ ما بعدها ليدغموها فيه. فيكون العمل والصوت من وجه واحد وجنس واحد فقالوا: ودّ[٦٦].

أما في الواو والياء حيث يرى أنهما أختان، كما هي الحال في "د ط ت" و "ذ ث ظ" في تقاربها نحو قولك "طيه، ليه"، ونحو: "سيد، ميت" فقلبت الواو ياء ليكون العمل أيضاً من وجه واحد، وأدغمت الياء في الياء فصارت سيد بعد سيود. فالواو ضعفت لما لحقها من سكون فأدغمت في أختها الياء لتقوى، ويبدو أن المصنف علل غلبة الياء على الواو لخفة الياء وثقل الواو، فهربوا إلى الأخف وأجروا ذلك فأجريت الضمة مجرى الواو، والكسرة مجرى الياء اللتان هما نائبتان عن الياء والواو فقالوا: "ميزان، ميقات، موسر، موقن".

---

(٦٣) سر صناعة الإعراب، ١/١٩٣.

(٦٤) الكتاب، ص٤/٤٤٨.

(٦٥) المفصل، ص١٠/١٣٣.

(٦٦) سر صناعة الإعراب، ص٢/٥٨٥.

فنرى أنه يُرجع كل ذلك في الواو والياء، وإدغامهما إلى أنهما في إدغامهما مع ما بعدهما بعداً عن الاعتلال وشبه الألف، فالألف لا تدغم أبدا.

وإدغامهما يبعدهما عن تسلط الحركات قبلهما على قلبهما، فالحركات تقوي الحروف والسكون مسوغ لدخول الحرف فيما بعده، لذلك يلجأ إلى الإدغام هروباً من تسلط الحركات وبعداً عن الإعلال بالألف[٦٧].

ويبدو أن الحركات في نظر المصنف، لها تأثير على الحروف إذ إنها تقويها وتمنعها من بعض القلب، أو الإعلال، وهذا ما يشار إليه في بعض المصطلحات بالاختلاس في الحركة، إذ إن اختلاس الحركة عند بعضهم هو صورة الإدغام، في نحو "شهر رمضان" فيقول: "فلو كانت الراء الأولى ساكنة والهاء قبلها ساكنة لاجتمع ساكنان في الوصل، ليس الأولى منهما حرف لين، والثاني مدغماً، نحو "شابه، دابه" ويكون اختلاس الحركة مسوغاً للإدغام تقريباً في نحو قوله تعالى "شهر رمضان، البقرة(١٨٥)، نحن نزلنا، الحجر(٩)، نحن نحي، الحجر(٢٣)".

ويقول كذلك: "لا بد من أن تكون النون الأولى مختلسة الضمة تخفيفاً وهي بزنة الحركة".

ويرد على القراء في إدغامهم، وفي تسكين النون الأولى، لأن الحاء قبلها ساكنة، وهذا من الخطأ فيقول كذلك: "فإما أن تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنة، فخطأ، وقول الفراء أن هذا ونحوه مدغم سهو منهم، وقصور عن إدراك حقيقة الأمر[٦٨] ووافقه على ذلك صاحب شرح المفصل ابن يعيش[٦٩].

---

(٦٧) سر صناعة الإعراب، ص٥٨٦/٢.

(٦٨) سر صناعة الإعراب، ص٥٧.

(٦٩) شرح المفصل، ص١٢٣/١٠.

أما صاحب الممتع في التصريف، فإنه ينحو منحى ابن جني في أن الإدغام في المتقاربين لا يكون إلا على المجاز لا على الحقيقة، وكذا إدغام المتحركين فيقول: "ويحكى عن البصريين أن أبا عمرو كان يختلس الحركة في ذلك، فيرى من يسمعه ممن لا يضبط سمعه أنه أسكن الحرف الأول وإن كان لم يسكن[٧٠].

فاختلاس الحركة وعدم تبينها وتبعيضها حتى لا تكاد تسمع، هو في نظر أصحاب اللغة ما يسمي إدغاماً بين المتحركين المتماثلين، فإن الإدغام يحصل عندما يبدل الحرف الأول من جنس الثاني. فلما أرادوا أن يدغموا بين متحركين، ولم يريدوا أن يسكنوا الأول ليدغم والثاني – وهو شرطه الأساس – اختلسوا الحركة اختلاسا، فبقي جزء منها خافتاً لا يكاد يسمع إلا من خلال أهل الضبط والإتقان.

ويبدو أن اجتماع الحركات في الحروف المتماثلة، وتواليها ببعضها فيه نوع من الاستثقال عند العرب، فعند ذلك لجأوا إلى الإدغام بطريقته المعروفة بسكون الأول وإدخاله في الثاني، ولربما كان ذلك اختلاساً كما أسلفنا في نحو: "إحرّة – إحرَرة، إوزة" التي على وزن "إفعله" فعندما نقلوا حركته إلى ما قبله وادغموه في الذي بعده، دخل الكلمة هذا الإعلال والتوهين، فعوضوها منه أن جمعوها بالواو والنون فقالوا "أحرّون، إوزون" في الجمع وأجروا عليها لفظ حرة – حرون فهي أخت "إحرة" من لفظها ومعناها وإن شئت فقل لأنهم قد أدغموا عين حرة في لامها وذلك ضرب من الإعلال لحقها[٧١].

فيظهر قياسه الحركات في اشمامها على إدغام بعض الحروف في بعضها الآخر، فكان عنده إشمام الحروف مع بعضها دليلاً على جواز إدغام

---

(٧٠) الممتع في التصريف، ص٢/٧٢٠.

(٧١) سر صناعة الإعراب، ص٢/٦١٧.

الحروف فيما بينها، فإذا كانت الحركات، وهي أبعاض الحروف، ونائبة عن بعضها تشم من بعضها، فإن دخول الحروف في بعضها من باب أولى يقول:

"ويشهد لهذا القول أنهم أدغموا النون في الميم لاشتراكهما في الغنة والهوي في الفم... والواو كذلك فإدغموا فيها النون لأنها من الشفة، والياء، وكذلك لأنها ضارعت الواو في المد فأجازوا إدغام النون في الياء مثل: "من معك، من وعدت، من يقول...". فكما جاز حمل الواو على الميم ثم حمل الياء على الواو فيما ذكرنا كذلك أيضاً جاز أن تحمل الكسرة على الضمة في امتناع اشمامها شيئاً من الفتحة(٧٢).

ويبدو أنه يرى كسائر اللغويين، أن الإدغام نوع من الهروب من التقاء الساكنين، أو التخلص منه خاصة بعد قلب الحرف إلى جنس حركة ما يدغم فيه، في نحو: "صحراأ، خبراأ" التي كانت في بدايتها صحراأ فلما التقت ألفان اضطروا إلى تحريك إحداهما فجعلوها الثانية، لأنها حرف إعراب، وعندما كانت صورتها "صحاري أ" فتقع الياء الساكنة قبل الألف الأخيرة الراجعة عن الهمزة لزوال الألف من قبلها فتقلب الألف ياء لوقوع الياء الساكنة قبلها، وتدغم الأولى المنقلبة عن الألف الزائدة في الياء الأخيرة المنقلبة عن ألف التأنيث فيصير "صحاريّ"(٧٣).

ويظهر كذلك في كلمة "شابه، دابة، حاد، حاق" عندما التقي ساكنان فكان الطريق للتخلص من الثقل والساكنين هو الإدغام و دمج الحرف فيما يليه لضعف الساكن أولاً، وللهروب من الثقل ثانياً، وللتخلص من تسلط الحركات على الحروف ثالثاً.

---

(٧٢) سر صناعة الإعراب، ص١/٥٥.

(٧٣) سر صناعة الإعراب، ص١/٨٦.

أما شارح المفصل فيرى أن الإدغام جيء به لضرب من التخفيف، لكنه احترز بعد ذلك بأن لا يؤدي إلى فساد في المعنى، أو اللفظ، أو الكلمة، فعند ذلك يعدل عنه ويكون احتمال النقل عندهم أسهل(٧٤).

هجاء الحروف وصورها

وتناول المصنف هجاء الحرف واسمه نحو: "يا، كاف، واو، سين، صاد" فذهب إلى أنه قد وقع فيه شيء من الإدغام أصلاً فنراه يقول: ولو جمعت هذه الأسماء على أفعال لقلت في دالٍ وذالٍ: ادوالٌ، اذوال" وفي صاد وضاد "أصواد، أضواد"...

ومن كانت ألف "واو" عنده من ياء قال إذا جمعها على أفعال "أياء" وأصلها عنده "اوياء" فلما اجتمعت الواو والياء سبقت الواو بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء التي بعدها، فصارت "أياء" كما ترى ومن كانت عين "واو" عنده واواً قال في جمعها على "أفعل" "أوّ" وأصلها أوو "فلما وقعت الواو طرفاً مضموماً ما قبلها أبدل من الضمة كسرة ومن الواو ياء فقال: "أوٍ"(٧٥).

فيتبين لنا من ذلك أن الإدغام يدخل في الكلمات والحركات والمتحركين والمتحرك مع الساكن وكذلك يدخل في بناء أو هجاء الحرف نفسه ويؤثر على تصرفه.

تأليف الكلمات والحروف المكررة

ويرى ابن جني أن الحرف المكرر أقرب إلى دخوله فيما بعده وأسهل من دخول غيره فيه في نحو قوله: "امقّ، مجّ" التي أصلها "مقق، مجج".

---

(٧٤) المفصل، ص١٢٢/١٠.

(٧٥) سر صناعة الإعراب، ص٨٠٣/٢.

وبما أن الكلمات لا يمكن إلا أن تتألف من حروف بعضها متباعد وبعضها متقارب، فإن تأليف الكلمات في لغة العرب كانت على درجة عالية من العناية والاهتمام في تجاور الحروف، ولأن العرب تستثقل كثيراً تجاور الحروف أو تواليها في المخرج، وكذلك الشأن في الحركات، فإنهم يتخلصون من التقاء الساكنين ويبدلون بعض الحروف ببعضها طلبا للخفة والسهولة، ويقلبون بعضها الآخر طلبا لرونق اللفظ وحسن العبارة.

لكل هذا ينظر المصنف إلى تأليف الحروف في اللغة من عدة جوانب، فيرى أنها عندما تتألف الكلمات من حروف بعيدة في المخرج والصفة أسهل وأيسر وأعذب من تأليفها من المتقارب والمتشابه، وينظر إلى إدغام بعض قبائل العرب بعض الحروف، أنه طلب للسهولة وعذوبة اللفظ ورونقه فمثلا كلمة "معهم" عندما أرادوا أن ينطقوا بها خاصة في لغة تميم وهي ممن يسكن عين الكلمة، وكان بعدها حرف الهاء وهو حرف حلقي قريب من العين، فإنهم ابدلوا الحرفين حائين وأدغموهما ببعضها فقالوا: "محم بدلا من معهم" فكان ذلك عندهم أسهل من النطق بالحرفين متجاورين(٧٦).

هذا في كلمة واحدة أما ما كان من كلمتين نحو قولك "ودت طائفة" فإن الأمر يثقل في اللفظ أو نحو "إذ ظلم" فكان مسوغ الإدغام لقرب الحرف من الثاني وصعوبة التميز في جرس الصوت وصفته فاضطروا إلى الإدغام هرباً من التكلف في نطق الحرف مع ما يجاوره لكل منهما جرس وصوت ونبره، فقالوا: "ود طّائفة"، "إظّلم" طلباً للخفة والسهولة في النطق.

ويبدو أن سيبويه(٧٧) اشار لذلك ايضاً في نحو قولك "مع هؤلاء" فتحتاج إلى تحويل الهاء حاء والعين حاءً ثم تدغم الحاء في الحاء فتقول: "محاؤلاء"

---

(٧٦) سر صناعة الإعراب، ص٢/٨١٥.

(٧٧) الكتاب، ص٤/٤٤٩.

ويعلل ذلك بأن النقاء الحائين عندهم في (محم) أخف من النقاء العين ثم الهاء في (معهم) وكذلك في "مع هؤلاء" في نحو "محاؤلاء".

لأن الصوت إذا انتحى مخرج حرف، فأجرس فيه، ثم أريد نقلـه عنـه فالأخف بالحال أن يعتمد به مخرج حرف يبعد عنه فيختلف الـصوتان فيعـذبان بتراخيهما...، وتضعيف الحرف أسهل من تأليفه[٧٨]

هذا والعرب عادة ما تهتم كثيرا بصفات الحروف ومخارجها ليبين كـل حرف عن صوته وصفته وجرسه، فلا يختلط بالذي يليه أو يشاركه في صـفته. ألا ترى أن الهمزة وهي حرف حلقي لا يدغم في غيره، ولا يشدد، فإنهم عندما التقت الهمزات وتوالت، منهم من كان يستثقلها وتصعب عليه لما فيها من شـدة في خروجها، فكان للعرب فيها مذاهب في نطقها. فمنهم من سهلها بـين بـين، ومنهم من أبدلها حسب حركتها وحركة ما قبلها ومنهم اسقط إحداهما ونطق بها همزة واحدة لا غير، ولم يجرؤ أحد على القول بإدغامها.

وقد جاءت القراءات القرآنية على هذه الشاكلة، فمنهم من سهل بين بين، ومنهم من أبدل، ومنهم من أسقط خاصة إذا كانت الهمزات في كلمة أو كلمتـين في نحو قوله تعالى "أءنذرتهم، البقرة(٦)"، "والسفهاء ألا، البقـرة(١٣)"، " يـا سماءُ أقلعي، هود(٤٤)".[٧٩]

ويلحظ من كل ما تقدم أن الإدغام له أثر واضح في لغة العرب فعمـدت إليه لضرورات، وحالات أستقصاها أهل اللغة وعلماء النحو والصرف في كتبهم. وكذلك جاءت القراءات القرآنية تؤكد بعض لهجات العرب في الإدغام وغيره.

---

(٧٨) سر صناعة الإعراب، ص٨١٥-٢/٨١٦.

(٧٩) انظر النشر في القراءات العشر، باب الهمزات.

الخاتمة

يبدو في نهاية هذا البحث ما للإدغام من جوانب متعددة في اللغة وتصريفاتها وأحوال اللفظ وما يتبعها من إعلال أو قلب أو إبدال.

ويبدو المصنف لنا من خلال البحث قوي الرأي دامغ الحجة وهو يستدل ببعض جوانب الإدغام وما يجري على أصل الكلمة ولفظها من إدغام أو قلب.

ويلحظ أن المصنف كان قوي اللغة حيث يرد بعض القراء وإدغامهم قياساً لغوياً وليس رواية.

أو يعلل بعض رواياتهم بأنها لم تكن إدغاماً على الحقيقة إنما هي لهجة عربية كالاختلاس مثلا.

ويوازن كذلك بين ما يقوله اللغويون قبله كسيبويه وغيره، وبين ما عليه هو وشيوخه في قرنه الذي عاش فيه.

وإنما يدل ذلك على عنايتهم باللغة وتصريفاتها وألفاظها وبحثهم الدقيق في أسرار صناعة اللغة والتصريف. وتفريقهم ما بين لفظة ولفظة، وعنايتهم الفائقة بمخارج الحروف وصفاتها، وجرسها، وابدالاتها، وقلبها، وكذلك عنايتهم الفائقة بالإدغام، واحتفالهم به على وجه الخصوص لما له من أثر في تصريف اللفظ وعذوبة الصوت وسهولة النطق وجماله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٦٠٥

المراجع

١- القرآن الكريم

٢- الجريسي: محمد بن مكي بن نصر - نهاية القول المفيد في علم التجويد - مكتبة الصفا - القاهرة الطبعة الاولى ١٩٩٩.

٣- الجزري: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي - النشر في القراءات العشر - دار الكتب العلمية- بيروت.

٤- الجزري: أحمد بن محمد بن محمد - شرح طيبة النشر في القراءات العشر - مصطفى البابي وأولاده الطبعة الاولى ١٩٥٠

٥- جني: أبو الفتح عثمان بن جني - سر صناعة الإعراب - تحقيق د. حسن هنداوي - دار القلم - دمشق - الطبعة الاولى ١٩٨٥.

٦- جياني: جمال الدين أبو عبدالله بن مالك - شرح الكفاية الشافية - تحقيق د. عبد المنعم احمد هويدي - دار المأمون للتراث

٧- الإشبيلي بن عصفور - الممتع في التصريف - تحقيق د. فخري الدين قباوه - دار المعرفة - بيروت الطبعة الاولى ١٩٨٧.

٨- الشاطبي: القاسم بن فيرة بن خلف، بن أحمد - حرز الأماني ووجه التهاني - ضبط محمد تميم الزعبي - الطبعة الثالثة دار الهدى ١٩٩٥

٩- قنبر: أبو بشر عمرو بن عثمان - كتاب سيبويه - تحقيق عبدالسلام هارون - دار الكتب العلمية-بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢

١٠- فيروز أبادي: مجد الدين بن محمد بن يعقوب - القاموس المحيط - مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٩٩٤

١١- منظور: أبو الفضل جمال الدين بن محمد ابن مكرم - لسان العرب - دار صادر - بيروت

١٢- ابن يعيش: موفق الدين بن علي - شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت

١٣- درويش: شوكت علي عبد الرحمن - العلامة الإعرابية بين ورش وحفص - دار باقا العلمية، ط(١) ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٤- الأفغاني: سعيد - في أصول النحو - المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٦٠٦

١٥- خاروف: محمد فهد - الميسر في القراءات الأربعة عشر - دار ابن كثير - دمشق، ط(١) ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٦- القرطبي: أبو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي ١٩٥٢م
١٧- القاضي: عبد الفتاح - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة - دار الكتاب العربي، بيروت ط (١)، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.